نجاة بني إسرائيل من فرعون

أ.د.علي صالح رسن المحمداوي
م.م.سلمان منصور حسين
جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الملخص:

يعني هذا البحث بدراسة الكيفية التي مكن الله تعالى بها بنو إسرائيل من الخلاص من صور العذاب المختلفة التي كان يتبعها معهم فرعون وآله ومنها ما أشار إليها القرآن الكريم مثل استخدام الأوتاد لمعاقبة معارضيه أو تلك التي أشارت إليها المصادر المختلفة ، حيث قام بإتباع شتى الأساليب قسوة وقوة معهم لمجرد رؤيا رآها وفسرها له المعبرون بأن زوال حكمه سوف يكون على يد أحد أبناء بني إسرائيل وهذا ما دعاه أن يصدر أمراً بقتل جميع الصبيان الذكور منهم حتى لا يتحقق أمر نهاية حكمه .

الكلمات المفتاحية: نجاة، فرعون، اسرائيل

The Survival of Israelis From the Foron

Journal of Basra Research for Human Sciences

Prof . Dr . Ali Salih Risan
Assistant lecturer : Salman Mansour Hussein
University of Basrah – College of Education for human sciences
Dept . of history

Abstract:

This research deals with how Allah enabled the Sons of Israel to be saved from the various forms of torment that Pharaoh and his household followed, including what the Holy Quran referred to, such as the use of strings to punish his opponents or those referred to by various sources. Whereas he followed the various methods of cruelty and strength with them just because of he had seen a dream which had been explained to him that the disappearance of his wisdom will be at the hands of one of the Sons of Israel and this is what prompted him to issue an order to kill all male infants so as not to achieve the end of his

Key word: Survival، , Foron,,lecturer

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب الكريم نوراً وهدى للعالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين وإمام الأولياء المتقين، محمد الصادق الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين و بعد:

القرآن الكريم كان وما زال معيناً لا ينضب لكل من يريد الغوص في هذا البحر اللجيِّ كيّ يستخرج مكنوناته فهو المعجزة الربانية الخالدة المتجددة في كل زمان ومكان وإن جميع آياته تحاكي ما مضى من أحداث مرت على بني البشر وما تجري في الزمن الحاضر وما سيقع في المستقبل وهو الباب الذي انتهت إليه كل الكلمات وسجدت بين يديه الألفاظ والعبارات .

إن الأحداث التاريخية التي أوردها القرآن الكريم ، فيما يتعلق ببني إسرائيل وبغيرهم من الأمم السابقة إنما هي أحداث يقينية وحقائق أكيدة موثقة ، ولا يخطر ببال مسلم شك في حقيقتها وكون الذاكر لها هو الله تعالى حيث يبقى النص القرآني هو الحق والصدق وهو بمثابة دين يدين به كل مسلم صحيح العقيدة ومن هنا فإن البحث في تاريخ بني إسرائيل ليس بالأمر السهيل .

ومن الأمور التي ذكرها هي صور واشكال التعذيب المهين التي كان يلاقيها بني إسرائيل من فرعون وأتباعه في العديد من الآيات القرآنية ، وكيف مكنهم الله تعالى من النجاة من هذا العذاب وكان ذلك على يد النبي موسى (عليه السلام) وقد قسم البحث إلى مبحثين ، الأول يتناول اضطهاد فرعون لبني إسرائيل والثاني ، كيفية نجاتهم من العذاب .

المبحث الأول: اضطهاد فرعون لبني إسرائيل :

ذكر القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن نجاة بني إسرائيل من فرعون ومن أساليبه التي كان يتبعها معهم إذ قال تعالى ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ))[١] وقوله تعالى ((وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ))[٢] .

وإذا تأملنا هذين النصين لوجدنا الخطاب مرةً جاء بكلمة ((أنجى)) ومرة أخري بكلمة ((نجى)) فما هو الفرق بينهما .

كلمة ((أنجى)) تستعمل للإسراع في الخلاص من الشدة والكرب فلما كانت النجاة من البحر لم تستغرق طويلاً ولا مكثاً استعمل((أنجى)) أما ((نجى)) فإنها تستعمل للتلبث والتمهل في النتيجة ، فلما كان حال بني إسرائيل استغرق وقتاً طويلاً في النجاة من فرعون استعمل كلمة ((نجى)) [٣].

وقيل نجيناكم الكلام هنا من الله تعالى ، وأنجاكم الكلام فيها من موسى(عليه السلام) ، والفرق بينهما إن الله سبحانه وتعالى حين يمتن على عباده يمتن عليهم بقمم النعم ، ولا يمتن بالنعم الصغيرة ، وإن كلمة نجى تكون وقت نزول العذاب لتخليصهم منه ، أما كلمة أنجى بمنع العذاب عنهم وابعاد عذاب فرعون نهائياً ، والفائدة من الاستخدامين تنوع الأسلوب وبيان أن الله تبارك وتعالى أنجاهم مرتين ، مرة بمنع العذاب أثناء وقوعه على يد فرعون ، ومرة ثانية أبعد عنهم العذاب نهائياً وذلك عندما أهلكه وجنوده [٤].

وهنا أيضاً تذكير من الله تعالى لبني إسرائيل إذ نجاهم من فرعون وآله الذين أذاقوهم أشد العذاب ، فلقد كانوا يقتلون الذكور من الأولاد ويستبقون النساء أحياء ، وفي هذا ابتلاء في السراء والضراء ، فهل سيجاهدون ويصبرون ويشكرون أم إنهم سيخضعون ويستسلمون في الشدة[٥] .

وفي هذه الآيات يعيد الله عز وجل على خيالهم ، ويستحيي مشاعرهم صور الكرب الذي كانوا فيه ويرسم أمامهم مشهد النجاة كما رسم أمامهم مشاهد العذاب ، وذكرهم بعد ذكر النجاة إن التعذيب كان فيه بلاء من ربهم عظيم وإن الألم يهون حين يلمح أجر هذا الأمر وهو الاحتساب عند الله [٦] .

ويأتي السؤال هنا لماذا اضطهد فرعون بني إسرائيل ، جاء في ذلك روايات عدة .

الأولى : قيل إن سحرة فرعون قالوا يولد في هذا الوقت مولود من بني إسرائيل يفسد عليك الملك فيكون فيه هلاكك، وكان قد ملك مصر دهراً طويلاً متمتعاً بالسلامة حتى قال أنا ربكم الأعلى ، فأمر فرعون ، فوضع على كل امرأةٍ من بني إسرائيل حرسا فكانت لاتلد منهن غلاماً إلاّ قتل ولدها ، فلما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة :أني أكتم عليك فلما ولدت قالت للحرس إنما خرج منها الدم [٧].

الثانية : وقيل إنه رأى رؤيا في منامه إن ناراً أقبلت من بيت المقدس على بيوت مصر فأحرقت الأقباط وتركت بني إسرائيل فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء منه بنو إسرائيل ويعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فأمر ببني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ولا تولد لهم جارية إلا تركت ، وقال للقبط انظروا إلى مملوكيكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم وأجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة [٨].

الثالثة : إن سبب اضطهاد فرعون والأقباط ، هو عندما جاء النبي يوسف (عليه السلام) وأصبح على خزانة مصر ، وأقام بني إسرائيل وتناسلوا وكثروا حتى ارتاب القبط من كثرتهم ، وإن ملكاً من الفراعنة جاء من بعده لم يعرف شأنه ومقامه في دولة آبائه فأسترق بني إسرائيل و استعبدهم [٩] .

وقد أشارة التوراة إلى ذلك ((ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب اكثر وأعظم منا*هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدث حرب إنهم ينظمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون في الأرض* فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم)) [١٠] .

الرابعة : قال ابن كثير ((إن ما جعل فرعون يطغى على بني إسرائيل ،ويشتد عليهم أنهم كانوا يتحدثون فيما بينهم عما يأثرونه عن النبي إبراهيم (عليه السلام)إنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك مصر على يديه ، وقد تحدث بعض المقربين من فرعون إليه بشأن هذه النبوءة أو البشارة التي يتناقلها بنو إسرائيل ، ولهذا أمر فرعون بقتل الأبناء من الذكور حذراً من ظهور هذا الفتى التي تحدثت عنه البشارة الإسرائيلية)) [١١].

الخامسة : إن سبب ذلك يرجع لأنهم قدموا في زمن الهكسوس الذين حكموا مصر حوالي السلالة السابعة عشر ، وهم غرباء عن مصر وقدموا من أرض الشام واستولوا على خيراتها ، ولهذا كان ينظر المصريون إلى بني إسرائيل نظرة عداوة ؛ لأنهم وقفوا إلى جانب أعدائهم[١٢].

وهذا الراي هو الأقرب للصواب ؛ لأن بني إسرائيل قدموا إلى أرض مصر في زمن القحط والجوع التي

ضربت مصر وبلاد الشام والعراق في فترة حكم الهكسوس لبلاد مصر حيث كان نبي الله يوسف (عليه السلام) أميناً لخزانتها فامتلكوا الأرض الصالحة للزراعة لا سيما إذا ما علمنا إن الهكسوس في لغة المصريين تعني حكام البلاد الأجانب، وإنه في زمنهم تم القضاء على حكم الاله آمون الذي عبده المصريون آلاف السنين وأبعد كهنة المعابد وأصبح دين التوحيد هو الدين الرئيس في مصر، فصار هنالك فكر معادٍ لهم وبقي هذا الفكر والحقد يتغذى في أجيال المصريين جيلاً بعد جيل.

السؤال هنا ماهي وسائل التعذيب التي اتبعها فرعون مع بنو إسرائيل.

اولاً : لما آمنت السحرة بموسى (عليه السلام) وصلبهم عدو الله فرعون ورجع مغلوباً مقهوراً ، فأمر قومه أن يكلفوا بني إسرائيل ما لا يطيقون ، فكان الرجل من القبط يجيء الرجل من بني إسرائيل يقول له : انطلق معي فكنس عشي وأعلف دوابي وإستسق لي ، وتجيء القبطية إلى الكريمة من بني إسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعموهم خبزاً فإذا انتصف النهار يقولون اذهبوا فاكتسبوا لأنفسكم ما تأكلون [١٣] .

وهذا الأسلوب اتبعه مع سَحرتهُ عندما اعلنوا إيمانهم بما جاء به النبي موسى (عليه السلام) حيث قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم إلى جذوع النخل وقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى ((قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)) [١٤] .

من وسائل التعذيب التي اشار اليها القرآن الكريم قوله تعالى((وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ)) [١٥] وسمي بذي الأوتاد تعبيراً عن قسوته وشدة تنكيله ببني إسرائيل ، فقد وتد لزوجته آسيا بنت مزاحم التي آمنت بالنبي موسى (عليه السلام) فأظهر غضبه عليها فعذبها كما يعذب الآخرين ، بأن شدها إلى أربعة أوتاد ثم وضع عليها رحى إلى أن فارقت الحياة [١٦] ويمكن لنا أن نتصور الشدة والقسوة التي اتبعها مع أقرب الناس إليه ، وفي هذا الفعل رسالة إلى بني إسرائيل إنكم سوف تلاقون العذاب نفسه بل يكون أقسى وهذا ما حدث بالفعل عندما كان يعاقب كل من يخرج عن طاعته.

وقيل إن فرعون إذا غضب على أحد أوتد له في الأرض أربعة أوتاد ثم وضع يداً في وتد وأخرى في وتد ورجلاً في وتد وأخرى في وتد ، فيشده ويشد أطرافه بالأوتاد الأربعة بعد أن يلقيه على وجهه ويبقيه مطروحاً في الشمس حتى يموت [١٧] .

ثانياً: إن سبب تغير المعاملة لهم إنما كان بسبب ما يقومون به من اعمال القصد منها خلخة الوضع الداخلي المصري الذين كانوا في حرب مع الحيثين في فلسطين وكان ذلك في زمن رعمسيس الثاني ١٢٨٥ق٠م لاسيما بعد حملة العام الثامن ١٢٨٢ ق٠م التي إنمازت باندلاع الثورة في فلسطين بتحريض من الحيثين ودسائس الإسرائيليين ولهذا عندما عاد من حملته أحس إنه طعن من وراء ظهره ممن آوتهم مصر بعد تشرد وأطعمتهم بعد جوع فكان العذاب الأليم الذي صبه عليهم من دون رحمةٍ أو شفقةٍ حيث أمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم[١٨].

ثالثاً : ومن عذاب فرعون لبني إسرائيل ، إنه كان يكلفهم عمل البناء على الطين فيخاف أن يهربوا عن العمل فأمر بتقيدهم وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلالم إلى السطوح فربما سقط الواحد منهم أو

زمن أي أصابته عاهة ، ولا يعبؤون بهم إلى أن أوحى الله تعالى لموسى(عليه السلام) قل لا يبتدئون عملاً إلا بالصلاة على محمد وآله الطيبين ليخف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخف عليهم [١٩] .

رابعاً: وكان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعله مثل الشفار يصف بعضه بعضاً ثم يأتي بالحبالى فيوقفهن عليه فيحز أقدامهن حتى إن المرأة لتمصع ولدها أي تلقيه بين رجليَها فتظل تطؤه تتقي به حز القصب [٢٠] وسام الرجال سوء العذاب من نقل الطين وتشييد الأبنية ونقل الحجارة من الجبال [٢١] .

وهناك من يرى إن فرعون كان في نفسه عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيب بني إسرائيل وإهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون [٢٢] .

المبحث الثاني : نجاتهم من فرعون ؟

وبعد أن استعرضنا صور العذاب التي لاقوها ، يأتي السؤال هنا كيف نجاهم الله تعالى من هذا العذاب؟ وللإجابة على ذلك نقول إن القرآن الكريم قد اشار إلى ذلك بقوله تعالى : ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [٢٣].

ومعنى ((وَجَاوَزنا)) أي تجاوز جوزةً ، وجوز الطريق وسطه ، وجاز الشيء كأنه لزم جوز الطريق ، والمجاز في الكلام من تجاوز موضعه الذي وضع له [٢٤].

وقيل (وجاوزنا، أي عبرنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه فتبعهم فرعون وجنوده بغياً على موسى وهارون (عليهما السلام) ومن معهم من بني إسرائيل عدواً أي اعتداء عليهم) [٢٥] .

وهنا حكاية عن الله تعالى إنه جاوز ببني إسرائيل البحر ، وجعله طرقاً لهم والمجاوزة الخروج من إحدى الجهات والبحر مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفه من كان في وسطه ، رغم أن عدوهم كان في طلبهم مقتدياً أثرهم وهو في أوج قوته وجبروته باغياً عليهم [٢٦]

والسؤال هنا ما هو البحر الذي عبره بنو إسرائيل ؟

لم يرد في القرآن الكريم أي إشارة لتحديد ذلك البحر الذي تجمع عنده بنو إسرائيل ، ومن ثم عبورهم إياه بقدرته تعالى، بل إن القرآن اكتفى للإشارة اليه بلفظ البحر وقد جاء ذكره في العديد من الآيات [٢٧] .

أما الروايات التوراتية فإنها تشير إلى أن البحر هو البحر الأحمر حيث قالت:((ثم تحولنا ورحلنا في طريق البحر الأحمر كما أمرني الرب)) [٢٨] وفي موضع أخر سمته بحر سوف فقالت:((فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف وصعد بنو إسرائيل متجهزين من ارض مصر)) [٢٩] .

بينما ورد ذكر لبحر(سوف) في مقطع من دعاء السمات المروي عن الإمام الحجة(عج) ونصه((ويوم فرقت لبني إسرائيل البحر وفي المنبجسات التي صنعت بها العجائب في بحر سوف))[٣٠] وقد ذهب بعضهم على أن بحر سوف هو نفسه البحر الأحمر الذي ورد ذكره في أسفار التوراة[٣١].

والسؤال هنا كيف استطاع بنو إسرائيل عبور هذا البحر ؟ ولعل السبب يكمن في وجود النبي موسى(عليه السلام) بينهم فقيل إنه خرج بهم وهم ستمائة وعشرون ألفاً وتبعه فرعون مصبحاً في ألفي ألف وستمائة ألف وهو في حال بغي واعتداء وظلم طالباً للاستعلاء بغير حق [٣٢].

فيما جاء عن ابن عباس ((قال خرج فرعون في طلب موسى(عليه السلام) وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبين والقلب ، فلما انتهى موسى إلى البحر، قال ها هنا أمرت ، فأوحى إليه الله أن أضرب بعصاك البحر، فضرب فأنفلق فقال لهم ادخلوا فيه ، فقالوا كيف وأرضه رطبة ، فدعا الله فهبت ريح الصبا فجفت ، فقالوا نخاف من الغرق في بعضنا ، فجعل بينهم حواجز حتى يرى بعضهم بعضا حتى جاوزوا البحر))[٣٣] .

وإذا تأملنا هاتين الروايتين نجد أن الأعداد التي ذكرت مبالغ فيها كثيراً ، فيكف استطاع النبي موسى (عليه السلام) أن يجمع هذا العدد في ليلة واحدة ، والخروج بهم من ديارهم من دون أن يشعر بهم أحد من المصريين لاسيما وأن بيوتهم كانت متداخلةً ، ثم إن مثل هذا العدد يتطلب اعداد مسبق له ، وإذا خرج فإنه سيحدث الضوضاء ومن ثم يلفت إليه الأنظار، وهذا الأمر ينطبق على فرعون كيف استطاع أن يجمع إليه هذا العدد المهول ، وهو مليونان وستمائة ألف فهو يحتاج إلى وقت طويل حتى يجمعه ثم يجهزه كذلك إن الرحلة والسير بهذا العداد سيكون بطيئاً فكيف الحال وأنهم أدركوا بني إسرائيل في الصباح ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حيث قال تعالى ((فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ)) [٣٤] ولكن الذي يبدو أن هذه الروايات قائمة على التضخيم وبالتالي في قوله تعالى ((إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ))[٣٦]

ولما أدرك النبي موسى (عليه السلام) ومن معه من بني إسرائيل ، قال له أصحابه أين المخرج ؟ فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون العذاب فأوحى الله تعالى اليه ((وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى)) [٣٧] ويبس لهم البحر وكشف الله وجه الأرض [٣٨] فصار في البحر اثنا عشر طريقاً أي لكل سبط من أسباط بني إسرائيل ، فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله تعالى الماء فصار كالشباك ، فكان كل سبط يرى عن يمينه وعن شماله ، ودنا فرعون وأصحابه من البحر، فرأ الماء على هيأته والطرق فيه، فقال لأصحابه إلا ترون قد فرق مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي[٣٩].

فيما قال ابن الجوزي ((إن الله تعالى أوحى إلى موسى(عليه السلام) أن أضرب بعصاك البحر، ثم أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى فأنفلق له ، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فزعاً من الله عز وجل، وانتظارا لأمره فضربه فكان أثنا عشر طريقاً على عدد الأسباط ، فسار النبي موسى (عليه السلام) وأصحابه على طريق يابس والماء قائم بين كل فريقين فلما دخل بني إسرائيل ولم يبق منهم احد، أقبل فرعون على حصان له حتى وقف على شفير البحر فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق فلما شمها دخل فرعون وقومه وجبرئيل أمامه وميكائيل على فرس خلفه ثم تكاملوا فنطبق البحر عليهم)) [٤٠] وحين أدركه الغرق قال آمنت إنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل أي حين ايقن الهلكة[٤١].

وهنا تظهر رعاية الله وحفظه وحمايته لأولياه وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه ، الذين يغفلون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع معها بعدها ندم ولا توبة ، ويصور المشهد صور البغي والعدو ومنها مباشرة إلى مشهد الغرق ومصيبة معاينة الموت ، فلقد سقط فرعون المتجبر الطاغي

وقد تصاغر فيعلن إيمانه ويزيد في استسلامه فيقول : وأنا من المسلمين[٤٢].

ثم إن قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُر منهم أحد ، وأما هو ألقاه الله في الساحل ، لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ، جيفة ملقاة بالساحل ليكون عبرةً وعظةً[٤٣].

قال الشيخ الطوسي((إن بني إسرائيل قالوا ما مات فرعون، فألقاه الله على نجوة من الأرض ليروه))[٤٤] إن فرعون الذي أعلن تبعيته لبني إسرائيل في الإيمان رجاء أن يكون لهم في النجاة لكن الله وبخه على تأخير الإيمان إلى وقت لا ينفع له ، وفي زمان لا ينفعك فيه الإيمان والتوبة[٤٥] .

فيما ذكر الفخر الرازي ((إن فرعون وقومه عندما دخل أخرهم وكاد يخرج أولهم التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بني إسرائيل خفقة، فقالوا : ما هذا يا موسى ؟ فقال أغرق الله فرعون وقومه ، فرجعوا ينظرون إليهم ، فقالوا ادع الله أن يخرجهم حتى ننظر اليهم ، فدعا فلفظهم البحر إلى الساحل)) [٤٦].

أقول مهما اختلف الأمر عن نجاة فرعون أو قومه معه فان الآية واضحة وإن الذي نجى هو فرعون بجسده وهو رئيس الهرم الأعلى في السلطة ؛ ولأن هناك حقيقة هي إن بني إسرائيل على الرغم من أنهم شاهدوا بأعينهم كيف غرق هو وقومه في البحر إلا إنهم حتى هذه اللحظة كانوا غير مصدقين بأنه قد مات لأنه لم ترد في عقولهم هذه الحقيقة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عظيم العذاب الذي كانوا يلاقونه منه ويظهر من جانب آخر إنهم كانوا غير مصدقين بما كان يقوله لهم النبي موسى (عليه السلام) وهكذا كان حالهم عندما وصلوا الى البحر، وعندما لحقهم فرعون كانوا يقولون غررتنا و أهلكتنا فياليتك تركتنا يستعبدنا خير لنا من أن نقتل بأجمعنا .

فما كان منه (عليه السلام) وهو المؤمن والواثق بالله بأنه تعالى سينجيهم من فرعون، يقول((قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)) [٤٧] أي سيهديني إلى طريق النجاة ، وسترون بأعينكم هلاك فرعون وقومه .

بإن النتيجة الحتمية لفرعون وقومه بعد كل هذه الآيات التي جاءتهم وكذبوا بها إنه تعالى انتقم منهم أجمعين ولم يبق على أحد منهم كما جاء ذلك بقوله تعالى ((فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)) [٤٨] لما ارتكبوه بحق أنفسهم أولاً وبحق بني اسرائيل ثانياً الذين أورثهم كل ما يمتلك فرعون وقومه حيث قال تعالى ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)) [٤٩] أي ان الله تعالى بعد أن اغرق فرعون فقد مكن بني إسرائيل كل من أرض مصر الشام هو المقصود بمشارق الارض ومغاربها ، والمباركة هنا هي بما وهبه فيها من الأشجار والثمار والسعة والخصب .

أما كلمة الله الحسنى فهو الوعد الذي وعده لهم في قوله تعالى((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)) [٥٠] ثم إنه تعالى دمر ما كان يصنع فرعون وقومه من الأبنية والقصور وأخرجهم من ذلك كله [٥١].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (ج) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث لابد الإشارة إلى المعطيات التالية.

١- تحدث القرآن كثيراً عن طرق التعذيب التي اتبعها فرعون وآله مع بني إسرائيل ومن أهم تلك الأساليب التي استعملها معهم هو إنه كان يذبح أبناءهم لا سيما بعد تلك الرؤيا التي رآها ناراً اقبلت من بيت المقدس وأحرقت قصره والتي فسرها المعبرون له أن نهاية حكمه على يد بني إسرائيل الذين انحدروا من أرض كنعان إلى مصر ، فكان أن أوكل القوابل بكل امرأة حامل منهم بأن تقتل وليدها إذا كان ذكراً ، فيما كان يبقي على الإناث على قيد الحياة من أجل زجهن فيما بعد على خدمة الأقباط .

٢-اختلفت الأسباب التي من أجلها اضطهد فرعون بني إسرائيل ، كذلك اختلفت وسائل التعذيب التي اتبعه١معهم والتي كانت بمجملها وسائل مهينة كان القصد منها القضاء عليهم نهائياً وهي في الوقت نفسه رسالة إلى معارضيه أنكم سوف تلاقون المصير نفسه الذي لاقاه بنو إسرائيل .

٣-الله تعالى بلطفه وكرمه قد مكن بني إسرائيل من النجاة مما كانوا قد شاهدوه من عدوهم بأن فلق لهم البحر فاستطاعوا العبور واغرق عدوهم واتباعه .

٤-من الأدلة الساطعة على هلاك فرعون أن الله تعالى قد ألقى بجسده على الساحل ليكون دليلاً لبني إسرائيل

حتى يشاهدوا بأعينهم من كان يدعي بأنه ربهم الأعلى لاسيما أنهم كانوا غير مؤمنين بهلاكه لشدة ما لاقوه

من العذاب على يديه .

١- طه ٨.

٢- الدخان / ٣٠-٣١.

٣ -ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر،١/ ٩٧ .

٤- الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ١/ ٣٢٤- ٣٢٥.

٥- نورية ناصر ، التفسير الواضح ،١/٩٤.

٦- انور الباز ، التفسير التربوي ،١/ ٢٢.

٧- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ١/ ٣١.

٨- الطبري ، تاريخ الطبري ،١/٣٣٨.

٩- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،٢/ ٩٢ .

١٠- سفر الخروج ١: ٨- ١٠.

١١- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢/ ٩٢، قصص القرآن الكريم / ١٨١ .

١٢- شاهين ماركوس ، تاريخ الإسرائيليين /١١.

١٣- الثعلبي ، قصص القرآن / ٢٠٣ .

١٤- طه / ٧١ .

١٥- الفجر / ١٠.

١٦- الشيخ الطبرسي ، جوامع الجوامع ، ٣/٧٨٢.

١٧- محمد بيومي ، بنو إسرائيل في القرآن ، ١/ ٢٥٦.

١٨- محمد بيومي ، بنو إسرائيل ،١/ ٢٥٦ .

١٩- التفسير المنسوب للإمام العسكري /١١٥.

٢٠- الطبري ، تاريخ الطبري ،١/٣٨٧.

٢١- المقدسي ، البدء والتاريخ ،٢/ ٨٣.

٢٢- مقاتل بن سليمان ، تفسير مقاتل ، ٢/ ٢٤٨.

٢٣- يونس / ٩٠ .

٢٤- الراغب الإصفهاني ، مفردات غريب القرآن / ١٣٤.

٢٥- -الطبري ، جامع البيان ، ١/ ١٨٨-١٨٩.

٢٦ - الشيخ الطوسي ، التبيان ، ٥/ ٤٢٦.

٢٧- : البقرة / ٥١، الأعراف /١٣٨ ، يونس / ٩٠، طه /٧٧، الشعراء ، ٦٣ ، الدخان / ٢٤.

٢٨ - سفر التثنية،٢:١

٢٩- سفر الخروج ،١٣: ١٨.

٣٠- ابن طاووس ، جمال الأسبوع / ٣٢٣.

٣١ – خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة / ٩٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/ ٣٤٤، الحميري ، الروض المعطار / ٤٦٦، وينظر ، هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم/ ١١٨.

٣٢- القرطبي ،الجامع لأحكام الفران ، ٨ / ٣٧٧.

٣٣- النهاوندي ،نفحات الرحمن ،٤/ ٤١٥.

٣٤ - الشعراء / ٧٣.

٣٥ الطائفة المنقطعة من الناس التي لا يحسب لها أي حساب وتأتي بمعنى الجمع القليل المحتقر والعصبة الضعيفة ، ينظر : اليزيدي ، غريب القرآن وتفسيره / ٢٨١.

٣٦- الشعراء / ٥٤

٣٧ - طه / ٧٧.

٣٨ - ال مبارك ، توفيق الرحمن في تفسير القرآن ،٢/ ٤١٠.

٣٩- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨/ ٣٣٦.

٤٠- ابن الجوزي ، المنتظم ، ١/ ٣٤٩ .

٤١- ابو الجارود ، تفسير أبي الجارود ومسنده / ١١٧.

٤٢- انور الباز ، التفسير التربوي ، ٢/ ٣٩

٤٣ - النهاوندي ، نفحات الرحمن ، ٣/ ٧٤.

٤٤ - الشيخ الطوسي ، التبيان ، ٥/ ٦٤٢.

٤٥ - الطبري ، جامع البيان ، ١٥/

٤٦- الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٢/ ٩٣.

٤٧- الشعراء /٦٢.

٤٨- الأعراف / ١٣٦.

٢٩- الأعراف / ١٣٧.

٥٠- القصص / ٥-٦

٥١ - ينظر : الطبري ، جامع البيان ، ٧٨/١٣، البغوي ، معالم التنزيل ،٣/ ٢٧٣.

قائمة المصادر والمراجع :

اولاً : القرآن الكريم

ثانيا: المصادر الأولية :

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :

١- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضي، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩).

البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ / ١١٣٢ م) :

٢- تفسير معالم التنزيل ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان بن مسلم الحرش ، الرياض ، (دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م) .

الثعلبي ، أبو إسحق أحمد بن محمد (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٢م) :

٣- الكشف والبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، بيروت (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) .

أبو الجارود ، زياد بن المنذر (ت ١٦٠هـ / ٧٧٧ م) :

٤- تفسير أبي الجارود ومسنده ، تحقيق : علي شاه علي زاد ، قم ، (دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م) .

ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن اسحق (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٥٠ م) :

٥- النشر في القراءات العشر ،صححه : علي محمد الصباغ ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، د٠ت) .

ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) :

٦- زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عبد الله ، بيروت (دار الفكر ، ١٤٠٧هـ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (ج) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

/ ١٩٨٦ م) .

٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه ، نعيم زرزور ، بيروت (دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م) .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) :

٨- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د إحسان عباس ، بيروت (مكتبة لبنان ، ١٣٧٥هـ / ١٩٧٥ م) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

٩- تاريخ ابن خلدون ، ضبط المتن ووضع الحواشي : خليل شحادة ، مراجعة ، د سهيل زكار ، بيروت (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م) .

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤ م):

١٠- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، الرياض ، (دار طيبة للنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)

الشيخ الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسين (٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) :

١١- تفسير جوامع الجوامع ، تحقيق : جماعة المدرسين بقم المقدسة ، قم ، (طبع مؤسسة النشر الإسلامي

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧ م) :

١٢- التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق: أحمد حبيب قصير ، بيروت ،(دار إحياء التراث ب٠ت) .

ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥ م) :

١٣- جمال الأسبوع بكامل المشروع ، تحقيق : جواد فيومي ، قم ، (مؤسسة الآفاق ، ١٣٧١هـ ٩٧١م).

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) :

١٤- تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، (دار المعارف ، د٠ت) .

١٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، حققه ووضع حواشيه : محمود محمد شاكر ، راجعه وخرج أحاديثه :أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، (الناشر مكتبة ابن تيمية ، د٠ت) .

الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥١٢ هـ / ١١٠٨ م) :

١٦ - المفردات في غريب القرآن ، تحقيق :مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة (الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، د٠ت) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (ج) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

العسكري ، الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) ، (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) :

١٧- التفسير المنسوب ، تحقيق ودراسة : مدرسة الإمام المهدي(عج) ، قم (الناشر عطر عترت ، مطبعة اعتماد ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م).

الفخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ م) :

١٨- التفسير الكبير ، بيروت ، (دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م) .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م) :

١٩- الجامع لأحكام القرآن ، صححه : هشام سمير البخاري ، الرياض ، (دار عالم الكتب د٠ت)

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) :

٢٠- البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، الرياض ، ط١، (دار هجر للطباعة والنشر ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م) .

٢١- تحفة النبلاء من قصص الأنبياء ، تحقيق : غنيم بن عباس بن غنيم ، مكة المكرمة ، (الناشر مكتبة الصحابة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م) .

مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧ م) :

٢٢- تفسير مقاتل ، دراسة وتحقيق : د عبد الله محمود شحاته ، بيروت ، ط١، (مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م) .

المقدسي ، مجير الدين بن محمد العليمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١ م) :

٢٣- مجير الرحمن في تفسير القرآن ، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً : نور الدين طالب ، قطر، ط١،١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م) .

المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣ م) :

٢٤- البدء والتاريخ ، تحقيق : محمد البجاوي ، القاهرة ، (مكتبة الثقافة الدينية ، د٠ ت) .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن يعقوب بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م) :

٢٥- معجم البلدان ، بيروت ، (دار إحياء التراث ، د٠ ت) .

اليزيدي ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك ( ) :

٢٦- غريب القرآن وتفسيره ، تحقيق : محمد سليم ، بيروت ،ط١، (عالم الكتب ،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

اليعقوبي ، أحمد بن إسحق بن وهب بن واضح (ت ٢٩٤هـ / ٨٤٠ م) :

٢٧- تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، بيروت ، (منشورات دار الزهراء ، د ٠ت) .

ثالثاً: المراجع الحديثة :

آل مبارك ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٥ م) :

٢٨- توفيق الرحمن في تفسير القرآن ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه :عبد العزيز بن عبد الله ، الرياض ط١ ، (دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م) .

الباز ، أنور :

٢٩- التفسير التربوي للقرآن ، القاهرة ، ط١، (دار النشر للجامعات ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧ م).

بورتر ، هارفي :

٣٠- موسوعة مختصر التاريخ القديم ، القاهرة ، ط١، (نشر مكتبة مدبولي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م) .

ماركوس ، شاهين :

٣١- تاريخ الإسرائيليين ، مصر ، (مطبعة المقتطف ، ١٩٠٩ م)

مهران ، محمد بيومي :

٣٢- بنو إسرائيل في القرآن ، الإسكندرية ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٩٩ م) .

ناصر ، نورية :

٣٣- التفسير الواضح اليسير ، بيروت ، ط١ ، (دار المعارف للمطبوعات ، ١٤١٥هـ / ٢٠١٥ م) .

النهاوندي ، محمد عبد الرحيم :

٣٤- نفحات الرحمن في تفسير القرآن ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، قم ، ط١، (مؤسسة البعثة للطباعة والنشر ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩ م) .